أراد وجعله مصنفا وهو كتاب نزهة المشتاق الذي للشريف الإدريسي وكان رجار المذكور قد أخذ طرابلس الغرب عنوةً بالسيف في يوم الثلاثاء سادس المحرّم سنة إحدى وأربعين وخمسمائة وقتل أهلها وسبى الحريم والأطفال وأخذ الموال ثم إنه شرع في تحصينها بالرجال والعدد ثم إنّه أخذ المهدية سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة لأنّ صاحبها الحسين بن علي بن يحيى بن تميم بن المعزّ الصهناجيّ عجز عن مقاومته فخرج من المهدية هارباً بما خفّ من النفائس وخرج من قدر على الخروج. ولما هلك رجار ملكَ بعده ولده غُليلم بضمّ الغين وبعده الميم المعجّمة بين اللامين الساكنين ياءٌ وبعده اللام وعليه قدم قلاقس الإسكندري سنة ثلاث عشرة وستّين وخمسمائة وامتدحه بقصيدةٍ إلى آخر ما قال.

هذه نموذجاتٌ من الوافي وهو من أجدر ما يجب الاهتمام بطبعه تتميماً لسلسلة تواريخنا.

الحقيقة في الخيال

متى تنجاب هاتيك الدّجون ... وعنّا تنجلي تلك الظّنون
متى يعلو على الشّكّ اليقين ... متى يصبو على الحزن الرّزين
أنبقى هكذا بيد الفجائع ... ضرائب للبنادق والمدافع
لنا في كلّ شارقةٍ مصارع ... تصيد نفوسنا فيها المنون
تقاضينا إلى حدّ الحسام ... على ما ليس يؤبه من خصام
وتقذفنا لمنذور الحطام ... لجارية القضاء نوّى شطون
يهيب بنا اللموع من السّرابِ ... لورد الحتف في حمس الضراب
ويخدعنا الجهام من السّحابِ ... فنحسب أنّه الغيث الهتونُ
يرينا المرء في سكنى الأطام ... خلال المرء في سكنى الخيام

ألذّ مُدامه كأس الحمام ... واهنأ عيشه الحرب الزّبون
له دانت مواليد الطبيعة ... فأضحت وهي صمّاءٌ سميعة
أطاعته وما برحت مطيعة ... تبوح بسرّها وهو المصون
فكم كشفت معارفه حجاباً ... وكم راضت مواهبه صعاباً
وكم دكّت عزائمه هضاباً ... وكم خضعت له بكرٌ وعون
فنونٌ كم له منها جنونٌ ... وإنّ جنونه أبداً فنون
وكلّ حديثه معها شجون ... وكلّ شجونه فيها فتون
تضاحكه فيطرب لا يبالي ... بما منها له تلد الليالي
وينسى ما جنته على الأوالي ... وما خبّأت له منها القرون
يطيع نداء ناقضة الذّمام ... ويعصي كلّ طيّعة الزّمام
هجيراه مجانبة الوئام ... وبين ضلوعه الدّاء الدّفين
سواءٌ عنده ركب ألفضاء ... بتطلاب العلى أم خاض ماء
ودأماء توسّطُ أم دماء ... له في كلّ حادثةٍ سفين
أجال بغامض الأكوان فكراً ... فأوضح مبهماً وابان سرّاً
وكم أوحت له آياً وسفرا ... وسّر كتابها فيه مبين
جلا سنن الطّبيعة فاجتلاها ... كواكب كم أبان له ضياها
خفايا ليس يدرك منتهاها ... ولا ترقى لأيسرها الظّنون
رقى سيّارةً فوق الهواء ... تحثّ بروقها زهرُ السّماءِ
وراح بها يدلّ على ذكاءٍ ... وددت أنها منها تكون

يراها العلم معجزة العصور ... ومشكاةً جلاها للدهور
وأطلقها هوازئ بالبدور ... تقيّد في محاسنها العيون
تراها وهي ناشرةُ الجناح ... كدلاحٍ تلفع بالرياح
فما حملت سوى أجلٍ متاحٍ ... وبين ضلوعها حتفٌ مهين
فكم عنها تمخّضت السنين ... وما نشرت وكم طويت قرون
وما سمحت بمولدها البطون ... ولا بلغ الظّهور لها جنين
تخطّ بمهرق الآفاق سطراً ... فتقرأ منه للإعجاز شعراً
وللتدمير والتّفريق نثراً ... وحاصل معنييه أذىً وهون
يثور بصدرها غازٍ فتغلي ... مراجلها على حقدٍ وغلّ
وإن تنظر فليس لغير ذلّ ... وضيمٍ ذلك النّظر الشّفون
طوى خبر البساط لها عيانٌ ... به لبصائر الدنيا افتتان
وإن يسلس لراكبها عنانٌ ... فكم منها يعاصيه حرون
تغرّد في الفضا تغريد شادي ... فيطرب شدوها سمع الجماد
وإن هامت بها في كلّ وادٍ ... عقولٌ فهي واديها الأمين
تريك على جماح الكدّ مزحاً ... فتشرح طبعك المكدود شرحاً
وإن محضتك بعد الغشّ نصحاً ... فكم من جدّ يولّده الجون
تطير وهل تباريها النسور ... ودون محلّها الشّعرى العبور
ولن يرقى لمرقاها الأثير ... وهل تُرقى الخواطر والظّنون
لمسترق النّجيّ غدت شهاباً ... تلهب في أضالعه التهاباً

وتقصيه وما بلغ اقتراباً ... لخافيها المراصد والعيون
تُرى بدراً وآونةً هلالاً ... إذا في الأفق أسرعت انتقالاً
وإن لاحت بوجه الكون خالاً ... فما غير الفضا لها جبين
إذا جاشت بها قدرٌ تفور ... تدور كما يصرفها المدير
وإن زفرت يطير بها الزّفير ... وإن غضبت يجنّ لها جنون
كأن البرق أصدقها الودادا ... فمنّكها بجبينه الفؤادا
وصيّرها لناظره سواداً ... ولكنّ الخفوق لها جفونٌ
بجانحة الزّمان غدت ضميراً ... وطرفاً في محاجره قريراً
وعضباً في سواعده طريراً ... ولكن غير ما صنع القيون
أيا عصر البخار إليك شكوى ... يغصّ بها فم الأيّام شجواً
ابن إن كنت تنطق لي بنجوى ... لها بأضالعي وجدٌ كمين
أينطق في معاجزك الجماد ... ولم يمطرهم رفقٌ ولين
أتجريها جواري منشئاتٍ ... مواثل كالجبال الراسيات
وتوقرها صنوف المجعزات ... تراع بها المعاقل والحصون
تخادعنا ببرّاق لموعٍ ... كذلك شيمة الختل الخدوع
وكم لك في البريّة من صنيعٍ ... تشيب له الذّوائب والقرون
فنونك لم تدع أرضاً خلاءً ... ولم تجرِ بها عسلاً وماء
وكم فيها أفاضت كهرباء ... بساطعها اعتدى ضبٌّ ونونُ
لئن نصبت بنولكٌ لها دلائل ... فلم تلكٌ للورى إلا حبائل

وإن أهنّت بآنسها المجاهل ... فما هي للنهى إلا حزون
وكم لبنيك من آي اختراع ... طوائلها تقصّر كلّ باع
وتذهب بالمذانب والتّلاع ... إذا يوماً لها فاضت عيون
لئن خلبت بوارقها العقولا ... فلم يكُ ومضها غلا نصولا
وكم فينا جلت عضباً صقيلاً ... مواقع حدّ منّا الوتين
إلى مَ حياتنا تفنى جهاداً ... وأنفسنا نقطّعها جلاداً
ونحمل في الدّنا نوباً شداداً ... تنوء بحملها الأجد الأمون
أعصرَ النّور لم نرَ فيك نوراً ... ولا منك البخار غدا مطيرا
ولكن من دمٍ أجرى بحوراً ... وأشلاء الأنام بها سفين
ابن إن كنت تفصح عن خفيّ ... يضيق بسرّه صدر الأبيّ
أتخترع النّكال لكلّ حيّ ... وللإنسان فيك أذىً وهون
كأنّ نفوسنا أضحت متاعاً ... يساومنا المنون لها ابتياعاً
وإن طارت على سومٍ شعاعاً ... فما غير ألفناء لها وكون
أنسقط من جهين على خبيرٍ ليصدقنا الحديث عن الدّهور
فقدماً قيل غير مقال زور ... (وعند جهين الخبر اليقين)
شكونا داءنا حيناً فحيناً ... وأعضل داؤنا منّا وفينا
وكلّ رزيّةٍ صبّت علينا ... فأدوى دائها فينا كمين
شغفنا بالتّمدّن وهو داءٌ ... عضالٌ لا يرام له دواء
وليس لدائه أبداً شفاءٌ ... وهل تشفى الحقائد والضّغون

هل التمدين غير مثار حربٍ ... ومدعاةٌ لكلّ أذىً وكرب
ومنذر فرقةٍ ورسول رعبٍ ... وداعيةٌ بكلّ رديّ قمين
متى الإنسان يصبو التصافي ... ويخلع عنه أردية التجافي
ويهجر ورد رنقٍ غير صافي ... إذا لذّت لشاربها الأجـ – ـن
يرى حملاً وفي برديه ذئب ... هجيرة مخادعة ووثب
وأن طمعٌ أهاب به وكسب ... يريك الليث أظهره العـ – ـرين
غرائز فيه شتى لاتحد ... وجمّ خلائق ليست تعد
وكم منها له خصم ألدّ ... عريكته لخطبٍ لا تلين
وظل وما رهى دنيا ودنيا ... يسوق لنوعه حتفاً مهينا
ولم يقض إلى طمع ديونا ... وقد قضيت وأغلقت الرهون
عزا للدين تفريقاً وظلماً ... وكم قد راح ينثر منه نظماً
ولم ينف بغير الدين ضمّاً ... وهل يدعوا إلى التفريق دين
متى للسلم يجنح والتآخي ... ويحكم لنؤاخاة الأواخي
يرقّ لكلّ معولة الصراخ ... ويعطف من حشاشته الحنين
متى يغدو على طرف الشمام ... تودد كل مصريّ لشامي
ويترع معرق للقا قمامي ... ونجدي لمن ضمّ الحجون
ويعطف كل غربي لشرقي ... حشاشته ويرتق كل فتق
ويطلق ذاك هذا بعد رق ... وقسوة ذاك لذا تلين

النبطية سليمان ظاهر